الفصل الخامس

الهجرة اليهودية والاستيطان

لمحة عن فلسطين عبر التاريخ:

يجمع المؤرخون على أن فلسطين القديمة هي وطن الكنعانيين، وكانت تعرف ببلاد كنعان Land of Canaan. وقد استوطن الكنعانيون هذه البلاد منذ فجر التاريخ قبل أن تعرف باسم فلسطين، ولم يلحق بها هذا الاسم إلا بعد أن جاءتها قبائل اليونان من جزيرة كريت، وكانت القبيلة الأولى منها تسمى «فلستيا» Philistia، فسمي السهل الساحلي الذي وقع تحت سيطرتها بفلسطين، ثم سميت كلها فيما بعد (القرن الثاني الميلادي) باسم السهل الساحلي، وأصبح فلسطين.

والقبائل الكنعانية التي استوطنت فلسطين خرجت من شبه جزيرة العرب منبت الأسرة السامية. ويحدثنا التاريخ عن موجات عربية كانت تقذفها الجزيرة العربية حينًا بعد حين، وهي موجات كانت تقذف مرة على رأس كل ألف سنة تقريبًا. وقد ذكر المؤرخون للهجرات السامية من شبه جزيرة العرب أسبابًا كثيرة، منها البحث عن الكلأ والمرعى والماء، ومنها أيضًا وقوع الغارات والغزوات والحوادث الطبيعية الجارفة كالطوفان

والقحط وما إلى ذلك من الأسباب. وكان الكنعانيون يؤلفون الموجة السامية الثانية التي قذفتها الجزيرة العربية حوالي عام ٢٥٠٠ ق.م. ومن ثم فإن الكنعانيين من أصل عربي. ويذكر الطبري أنهم من العرب البائدة، وأخذ بهذا الرأي أيضًا ابن خلدون. ويؤكد برستيد Breasted أن الكنعانيين من القبائل العربية التي استوطنت فلسطين منذ ألفي وخمسمائة عام قبل الميلاد. وقد وصفت فلسطين الكنعانية ومدنها في التاريخ بأنها بلاد الخيرات التي تفيض لبنًا وعسلاً[١].

وبعد حوالي ألف وخمسمائة عام من الحكم الكنعاني المستقر تعرضت أرض كنعان لغزوتين متقاربتين، إحداهما من الغرب والثانية من الشرق. والغزوة الأولى قام بها «الفلسطينيون» Philistines من جزيرة كريت، فاحتلوا السهل الساحلي. أما الثانية فهي غزوة العبرانيين Hebrew، ولربما سموا كذلك إما لعبورهم نهر الفرات وإما لعبورهم نهر الأردن

(١) تذكر النقوش المصرية في معبد الكرنك أسماء ١١٩ مدينة فلسطينية، على حين لا يوجد في فلسطين حاليًا أكثر من ثلاثين مدينة، أهمها عكا وطبرية والناصرة وحيفا ويافا والرملة واللد وبيت لحم والخليل وغزة والقدس، وتنفرد القدس دون سائر المدن الفلسطينية بأهميتها الروحية كمركز لتراث وذكريات المسلمين والمسيحيين واليهود على السواء.

من الشرق. وقد سموا بعد ذلك بالإسرائيليين Israelites، نظرًا لدعواهم أنهم من ذرية يعقوب المعروف بإسرائيل Israel، ويعقوب هو حفيد إبراهيم من ولده إسحق، وأطلق عليهم كذلك اليهود(١).

ومهما يكن من أمر فقد كان للكنعانيين حضارة مميزة خاصة بهم، وكذلك اليبوسيون وهم فرع من الكنعانيين، وكان أحد ملوكهم ملكي صادق وهو من المعتقدين بالتوحيد، وهو صديق خليل الله إبراهيم، وقد اتخذ بقعة الحرم الشريف معبدًا له، وذلك قبل أن يقوم سليمان ببناء معبده بما يقرب من ألف عام(٢).

وهكذا فإن سكان فلسطين القدماء ينحدرون من القبائل الكنعانية ومنهم اليبوسيون سكان القدس، وقد استوطنوا فلسطين منذ أكثر من خمسة آلاف سنة، وكانت هذه البلاد تسمى أرض كنعان، وتسمى القدس مدينة يبوس(٣)، وسميت كذلك أورساليم وأورشليم كما يسميها العبرانيون ومعناها البيت

(١) د/السيد رجب حراز، صفحات من تاريخ الصهيونية وإسرائيل، القاهرة ١٩٧٤، ص ٣.

(٢) العهد القديم، سفر التكوين، ٢٣/٤/

(٣) محمد أديب العامري، عروبة فلسطين في التاريخ، بيروت ١٩٧٢، ص ١٨-١٩.

المقدس، ثم سميت «إيلياء» ومعناها بيت الله وأخيرًا سميت القدس الشريف في العصر الإسلامي ولا زالت حتى الآن[١].

أما العبرانيون فقد طرؤوا على مسرح الأحداث في فلسطين في وقت متأخر جدًا عن وجود الكنعانيين هناك، ففي الوقت الذي يرى فيه العبرانيون أن علاقتهم بفلسطين ترجع إلى إبراهيم عليه السلام، نجده أنه كان غريبًا عن أرض كنعان، لا يملك فيها شبرًا واحدًا، وحينما توفيت زوجته سارة في قرية أربع الكنعانية - قرب الخليل - نجده يخاطب أهل القرية قائلاً: «إني غريب ونزيل عندكم، أعطوني ملك قبر لأدفن ميتي من أمامي»[٢].

وقد خضعت فلسطين للنفوذ المصري الفرعوني بعد أن تحالف الكنعانيون مع الفراعنة لصد غزوات العبرانيين (بدو الخابيرو). وقد تمكن العبرانيون (بدو الخابيرو) من تحقيق نصر على الكنعانيين بسبب انشغال المصريين وضعف الكنعانيين نتيجة نشوء خلافات بينهم. ولكن الهزيمة التي لحقت بالكنعانيين قضت عليهم سياسيًا إلا أنها لم تقض عليهم اجتماعيًا. ومن هنا يتضح لنا أن فلسطين لم تكن خالية من

(١) سالم الكسواني، المركز القانوني لمدينة القدس، عمان ١٩٧٨، ص ٩٧.
(٢) العهد القديم، سفر التكوين، ٢٣/٤.

السكان عندما قدم إليها بنو إسرائيل من مصر بقيادة سيدنا موسى عليه السلام، ورفضوا التوجه معه إلى أرض كنعان بحجة أن فيها أقوامًا جبابرة عمالقة كما ورد في القرآن الكريم: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾(١).

وهذا كاف لدحض ادعاءاتهم وافتراءاتهم التي تقول إن فلسطين كانت خالية من السكان. وقد نجح العبرانيون في السيطرة على مدينة يبوس (القدس) عام ٩٧٧ ق.م بعد مقاومة مستميتة استمرت نحو مائتي عام. ولم يتمكن العبرانيون من الاستيلاء على كل فلسطين بل استولوا فقط على الجزء الداخلي، ودام حكم العبرانيين لمدينة القدس ٧٣ عامًا طوال تاريخها الذي امتد لأكثر من خمسة آلاف سنة، فقد استطاع النبي داود السيطرة على المدينة في عام ٩٧٧ ق.م وسماها مدينة داود، وشيد بها قصرًا، وقد دام حكمه ٤٠ عامًا، ثم خلفه من بعده ابنه سليمان الذي حكم ٣٣ عامًا، وبعد وفاة سليمان انقسمت الدولة في عهد رحبعام إلى دولتين إسرائيل في الشمال، ويهوذا في الجنوب، واستمر الصراع بين الدولتين

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٢.

حتى قضت آشور على إسرائيل عام ٧٢٢ ق.م، ثم قضى البابليون بزعامة نبوخذ نصر على دولة يهوذا سنة ٥٨٠ ق.م وسبى نبوخذ نصر اليهود إلى بابل[١]، ثم سمح الملك الفارسي قورشي عام ٥٣٨ ق.م لمن أراد من أسرى اليهود في بابل العودة إلى القدس. ولكن الغالبية منهم فضلت البقاء في بابل.

وتعرضت فلسطين بعد ذلك لغزوات اليونان والرومان، فقضى الرومان على فتنة اليهود، وهدموا هيكلهم ثم قتلوا الكثير من اليهود، وأرسلوا الباقين أسرى إلى روما، وهرب من تبقى من اليهود إلى مصر والعراق وغيرهما من الأقطار الأوربية، وعاشوا في هذه المجتمعات أحقابًا طويلة لا تربطهم بفلسطين أي صلة من قريب أو بعيد[٢].

وهكذا انقطعت صلة اليهود بفلسطين منذ ثمانية عشر قرنًا متواصلة، وتشتتوا في بقاع الأرض، ولم يسكن أحد من اليهود في القدس، وبقيت القدس متمتعة بسلام طويل منذ طرد اليهود منها، وخضعت المدينة بعد ذلك للفرس ثم للرومان في عام ٦٢٨ م/٧ هـ، وأخيرًا خضعت فلسطين والقدس للحكم

(١) سفر التكوين، والإصحاح ١٤، الفقرات ١٨-٢٠.

(٢) مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين ق١، بيروت ١٩٧٦، ص ٧٧.

الإسلامي بعد أن فتحها المسلمون عام ١٥هـ/٦٣٦م واعتنق سكانها الإسلام[١].

وغلب على مدينة القدس بعد الفتح الإسلامي (١٥هـ/٦٣٦م) اسم بيت المقدس، وهو دليل صدق على أن من استعمله أراد لهذه المدينة أن تكون مقدسة طاهرة خالصة لله تعالى، يؤمها المؤمنون جميعًا للعبادة والطهارة. وعاش جميع السكان في أمان وسلام ووئام، وأطلقت حرية العبادة لجميع الطوائف[٢].

مكانة القدس الإسلامية:

سميت مدينة القدس بعد الفتح الإسلامي باسم بيت المقدس حتى تكون مقدسة طاهرة خالصة لله تعالى يؤمها المؤمنون جميعًا للعبادة والطهارة.

دام حكم المسلمين ثلاثة عشر قرنًا، عدا قرنًا واحدًا تمكن فيه الصليبيون من الاستيلاء على بيت المقدس وعلى أجزاء من فلسطين، وهذه أطول مدة في تاريخ المدينة المقدسة ذاقت فيها

(١) د/إسماعيل ياغي وآخرون، تاريخ مدينة القدس، عمان ١٩٨٤، ص ٤٦.
(٢) رفيق النتشه، القدس الإسلامية، الرياض ١٩٩٦، ص ٤٠-٧٥.

حلاوة الاستقرار، وأطلقت حرية العبادة لجميع الطوائف، وعني المسلمون بالمدينة عناية فائقة[١].

فلم يفرق المسلمون زمن حكامهم الورعين الأتقياء بين أصحاب الديانات السماوية، كما لم يفرقوا بين أنبياء الله، وصارت لهم ذمة ترعى، وعهد يحفظ، وقامت في بيت المقدس حضارة روحانية فذة، وتلاصقت المساجد، والكنائس والمعابد، وارتفع اسم الله عاليًا، واطمأنت القلوب وانشرحت الصدور، ولم نجد الحال من أوقات ضيق عانى منها جميع السكان، ولكنها لم تشتد حتى تبلغ محاكم التفتيش أو حرق المعابد ومحو آثار الأنبياء[٢].

وهكذا حظيت بيت المقدس باهتمام المسلمين ورعايتهم لها، لأسباب هي:

١- أن الله خص مدينة القدس بالعديد من الأنبياء ابتداء من أبيهم إبراهيم إلى النبي عيسى ابن مريم صلوات الله عليه. وفي هذا يقول ابن عباس: «البيت المقدس بنته الأنبياء، وسكنته الأنبياء، وما فيه موضع شبر إلا وقد صلى فيه نبي أو قام فيه ملك»[٣].

---

(١) رفيق التنشه، القدس الإسلامية، الرياض ١٩٩٦، ص ٤٠-٧٥.

(٢) عارف العارف، تاريخ القدس، القاهرة ١٩٩٤، ص ٤٣-٥٠.

(٣) مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، ط٢ القاهرة ١٢٨٣هـ، ص ٣١١.

٢- إن الله خصها بإسراء رسوله وحبيبه المصطفى إليها، وكان ذلك في عام ٦٢١م/١٠هـ حيث شهدت القدس مسرى النبي محمد ﷺ، فقد أسري به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم صعد وعرج به إلى السموات العلى. وقد أشار القرآن إلى ذلك في سورة الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[١].

٣- إن فيها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين. روي الطبري في تاريخه عن قتادة قال: «كانوا يصلون نحو بيت المقدس ورسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة، وبعد ما هاجر رسول الله نحو بيت المقدس ستة عشر شهرًا»[٢]. وروى البخاري قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**»[٣].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١.

(٢) تاريخ الطبري، ج٢، ص ٢٦٥، وانظر كذلك الأنس الجليل ط٢، ص ١٧٢.

(٣) صحيح البخاري، ج١، ص ٣٨٢.

وروى ابن مندة عن أنس بن مالك قال: «إن الجنة لتحن شوقًا إلى بيت المقدس جنة الفردوس وهو سرة الأرض»[١].

٤- إن المسلمين عدوا المدينة الثغر الذي يمكن أن ينفذ منه العدو إلى الكعبة المشرفة وقبر رسول الله ﷺ؛ لذلك ما إن استقر بهم الأمر حتى بادروا إلى سد هذه الثغرة وحمايته كي يدرؤوا عنهم خطرًا مروعًا، وروى البخاري في صحيحه عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لعدوهم قاهرين لايضرهم من جابههم ولا ما أصابهم من البلاء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك**»، قالوا: يا رسول الله وأين هم؟ **قال: في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس**»[٢].

وهناك الكثير من الآيات الكريمة في القرآن الكريم تبين فضل ومكانة بيت المقدس، كما أن هناك أحاديث نبوية تؤكد ذلك. وعلاوة على ذلك، فقد دفن في بيت المقدس عدد كبير من الصحابة والتابعين والمجاهدين منهم الصحابي عبادة بن الصامت الأنصاري، والصحابي شداد بن أوس. وفي ظل

(١) السيوطي، ١ إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ص ١٣٨.
(٢) ابن الجوزي، فضائل القدس، ص ٨٩.

الإسلام انتعشت الحضارة في فلسطين، فأنتجت عددًا كبيرًا من العلماء والمفكرين والقادة، وتعلقت قلوب المسلمين بالمدينة، وحنوا إليها، وافتدوها بالمهج، وأحاطوها بالرعاية، وعبروا عن شعورهم هذا فيما كتبوا من كتب في فضائل بيت المقدس[١].

٥- إن القدس ومنذ تأسيسها كانت مدينة عربية قامت على الإيمان بالله الواحد العلي القدير، وهي مدينة مقدسة منذ فجر التاريخ، وتحتل مكانة فريدة ومتميزة لدى أتباع الديانات السماوية، تلك الديانات التي جعلت القدس موئلاً للقيم النبيلة والمثل العليا التي أفاض بها الله سبحانه وتعالى على نبي البشر، أما وقوعها على مفترق الطرق بين قارات العالم القديم، آسيا وإفريقيا وأوربا فقد مكنها من الإسهام بفاعلية في امتزاج الحضارات الإنسانية المختلفة، كما أهلها لتكون مركزًا للعالم. وهذا ما جعلها تتعرض لعدد من الغزوات على أيدي أتباع الديانتين النصرانية واليهودية. وإن كان أشد هذه الغزوات قاطبة هو استيلاء الدولة العبرية على مدينة القدس في ما بين عامي ١٩٤٨، ١٩٦٧ على التوالي[٢].

---

(١) رفيق النتشة، د/إسماعيل ياغي، د/عبدالفتاح أبو عليه، فلسطين، تاريخًا وقضية، الرياض ١٩٨٨، ص ٤٧.

(٢) د. حسام أحمد هنداوي، الوضع القانوني لمدينة القدس، القاهرة ١٩٩٩، ص ٤.

٦- إن القدس لم تشهد السلام والاستقرار وحرية الأديان إلا منذ الفتح الاسلامي على يد الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، فعندما احتلها الفرس الوثنيون ذبحوا اليهود، وعندما احتلها الرومان الوثنيون ذبحوا اليهود والنصارى، وعندما جاء الرومان المسيحيون واحتلوا القدس ذبحوا اليهود.

وعندما جاء الإسلام في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عاشت الطوائف بحرية وسلام لم تشهدها من قبل[1]. وعندما جاء الصليبيون ذبحوا المسلمين واليهود وبعض النصارى، وعندما حررها صلاح الدين الأيوبي عاش النصارى واليهود والمسلمين بسلام. وعندما استولى عليها اليهود الصهاينة ذبحوا المسلمين والنصارى وأحرقوا المساجد والكنائس.

ولهذا يمكن القول: «إن السلام والحرية الدينية لجميع الأديان لم تتوفر إلا في ظل الإسلام ليس كرمًا وحسن أخلاق من المسلمين فحسب، وإنما هو تنفيذ للعقيدة الإسلامية التي تأمر المسلمين بإطلاق الحرية الدينية لأهل الكتاب وحمايتهم وحماية معابدهم وعدم إيذائهم أو الاعتداء

(١) رفيق النتشه، القدس الإسلامية، ص ٢٢٠-٢٢١.

عليهم وذلك تنفيذًا لقول الله تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[1].

وقد سار الخلفاء الراشدون على هدى القرآن والسيرة النبوية المطهرة، فهذا كتاب أبي بكر - رضي الله عنه - يوصي قواد جيشه بنصارى نجران فيقول: «لا تقتلن أحدًا من أهل الذمة - ذمة الله - فيطلبك الله بذمته فيكبك الله على وجهك في النار». وكذلك كانت جميع عهود الأمان مع النصارى في مدن العراق فيوصي قادته: «بأن لا يهدم لهم بيت ولا كنيسة، وعلى أن يضربوا نواقيسهم في أي ساعة شاؤوا ليلاً أو نهارًا إلا في أوقات الصلاة، وعلى أن يخرجوا الصلبان في أيام عيدهم»[2] وهكذا كان المسلمون يعاملون أهل الذمة معاملة أهل البلاد الأصليين، لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين.

٧- إن القدس بدأت عربية، وظلت عربية منذ تأسيسها وحتى

(١) سورة الممتحنة، الآية: ٨-٩.

(٢) رواه أبو داود، متفق عليه.

اليوم، وإن الاحتلال الأجنبي للقدس مهما طال سرعان ما يزول، كما أن الوجود العربي وكذلك الحياة العربية لم تحتجب إبان غزوات العبرانيين أو الفرس أو الإغريق (اليونان) أو الرومان، فقد استمر الشعب العربي في فلسطين والقدس بصفة خاصة مقيمًا في بلاده رغم تعرضها للغزواة، والفاتحين، ولم تؤثر هذه الغزوات على حياة المجتمع الفلسطيني؛ لأن حياة الشعب الفسطيني بكل خصائصها ومقوماتها لم تصطبغ بصبغة الفاتحين، وظل الفلسطينيون عبر التاريخ ملتصقين بالأرض وحتى يومنا هذا[١].

نستنتج مما سبق أن مزاعم اليهود وافتراءاتهم باطلة، والتي تقول بأن فلسطين تاريخيًا ليست أرض العرب وإنما اغتصبها المسلمون من أصحابها، وإنما كانت يومًا ما للعبرانيين واليهود، وقد نفى المؤرخ الإنجليزي آرنولد توينبي ادعاءات اليهود، فقال: «إن فلسطين أرض عربية، وإن اليهود دخلوها معتدين قديمًا وحديثًا.» وقال أيضًا: «قبل أن يبدأ هرتزل حركته الصهيونية كان قد انقضى على وجود السكان العرب

(١) رفيق النتشه، الإسلام وفلسطين، الرياض ١٩٨٠، ص ٢١-٢٢.

في فلسطين فترة تزيد على سبعة عشر قرنًا ونصف قرن على الأقل[١].

ومازال أهل القدس العرب والمسلمون مرابطون في مدينتهم شأنهم في ذلك شأن إخوانهم العرب الفلسطينين في عشرات المدن والقرى الفلسطينية، وإن أي احتلال أجنبي لهذه المدينة المقدسة لا يستمر إلا فترة من الزمن ثم يزول وتبقى القدس عربية بتاريخها وأرضها وأهلها. وستعود القدس قريبًا عربية إسلامية سلمًا أو حربًا لتنعم بالسلام والعدل والحرية لجميع أهلها المسلمين وغير المسلمين في ظل الإسلام دين العدل والرحمة والحرية والمساواة.

الحق التاريخي للعرب في فلسطين والقدس:

تؤكد التوراة حق عرب فلسطين في بلادهم، فقد ورد في سفر التكوين ٢٣/١٥، «إن نسلك سيكون غريبًا في أرض ليست لهم».[٢] وأكد زعماء بني صهيون بعدم أحقيتهم بأرض فلسطين، فقال هرتزل: «نحن لا تربطنا بهذه القرية أية حقوق» وأيد بن غوريون هرتزل حيث قال: «إن فلسطين ليست بلدًا

(١) رفيق النتشه، الإسلام وفلسطين، ص ٢١-٢٢.

(٢) العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح ٢٣/١٥.

خاويًا، وهناك ملايين من العرب يقطنون فلسطين». وأضاف توينبي أيضًا: «بأن حق ملكية العرب بفلسطين أقوى من حق ملكية أي شعب في وطنه»[١].

وتستند الصهيونية في ادعاءاتها ومزاعمها من أجل المطالبة بفلسطين وانتزاعها من أيدي العرب على أسس ثلاث:

أولاً: الوعد الالهي لأسباط إبراهيم بأرض الميعاد. وتقوم الدعوى الصهيونية في فلسطين على الوعد الإلهي لإبراهيم منذ أربعة آلاف سنة، حيث جاء في التوراة - سفر التكوين - : «إن نسلك أعطي هذه الأرض من نهر النيل إلى الفرات». واتخذت الصهيونية من هذا الوعد سندًا دينيًا لها، وقد اعتقد اليهود أن الوعد الإلهي قد أعطي لليهود فقط، لكن عبارة نسل إبراهيم تشمل دون شك العرب؛ لأنهم من ذرية إبراهيم[٢].

ثانيًا: حق اليهود التاريخي في فلسطين. تدعي الصهيونية بأن لليهود «حقًا تاريخيًا وعلاقة تاريخية» بفلسطين، إذ كان لهم دولة وهي مملكة داود وسليمان التي استمرت قرابة

(١) محمد أديب العامري، عروبة فلسطين في التاريخ، بيروت ١٩٧٢، ص ١٥٦.

(٢) د/إسماعيل ياغي، د/نظام بركات، دراسات فلسطينية، الرياض ١٩٨٨، ص ٤٢.

ثلاثة وسبعين عامًا، كما أن مملكتي إسرائيل ويهوذا اللتين ورثتا مملكة سليمان لم تشملا كل فلسطين، بل اقتصرت على ما حول السامره (نابلس) وأورشليم (القدس) وما جاورهما من القرى. ولم تخضع مدينة القدس منذ إنشائها لسيطرة اليهود إلا مدة محدودة لا تزيد عن أربعمائة عام، في حين استمر الوجود العربي خمسة آلاف سنة[١].

وفضلاً عن ذلك فإن العلاقة التاريخية المزعومة لليهود مع فلسطين كانت في أحسن الأحوال علاقة قصيرة متقطعة غير مستقرة، بدأت واندثرت منذ وقت طويل، وهي في الأصل لا تقوم على شيء أفضل من حق الاحتلال الناجم عن الغزو. وإذا كان هذا الاحتلال المؤقت يمكن أن يعطي اليهود حقًا تاريخيًا في العودة إلى فلسطين، فحينئذ يحق لليونان والرومان أن يطالبوا بفلسطين، كما يحق للعرب أن يطالبوا بجميع الأقطار والأقاليم التي خضعت لسلطانهم، فمن حقهم الاحتفاظ بإسبانيا التي حكموها ثمانية قرون، وهكذا سينقلب العالم رأسًا على عقب من أجل منطق صهيوني عابث[٢].

---

(١) سمير جريس، القدس بيروت، ١٩٧٣، ص ٧.

(٢) د/السيد رجب حراز، صفحات من تاريخ الصهيونية وإسرائيل. ص ٣٤.

ثالثًا: ولا حاجة إلى القول بأن اليهودية دين وليست قومية، كما أن دعوى القومية اليهودية لا تستند إلى أساس، فيهود العالم في القرن التاسع عشر كانوا يفتقدون كل مقومات القومية المتعارف عليها:

١- فلا يوجد بينهم تاريخ مشترك أو تراث حضاري مشترك.

٢- ولا يجمعهم لغة واحدة مشتركة، بل كانوا يتحدثون لغات البلاد التي عاشوا على أرضها.

٣- وتختلف عاداتهم وتقاليدهم وفقًا للمجتمعات التي نزحوا منها أو إليها.

٤- ولم يعيشوا كمجموعة فوق أرض واحدة فترات طويلة، بل هاجروا إلى أرجاء المعمورة منذ وقت مبكر، ولم يكن يربطها سوى أمل العودة إلى أرض الميعاد من أراضي الشتات[١].

وهكذا يتضح أن المزاعم الصهيونية في وجود حق تاريخي لليهود في فلسطين لا تستند إلى أي أساس، فالحقائق

(١) د/أحمد طربين، فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار، القاهرة ١٩٧٠، ص ٢٣-٢٤.

التاريخية تنفي عن اليهود استمرار بقائهم في فلسطين، وتؤكد في الوقت نفسه استمرارية وجود الشعب العربي في فلسطين منذ فجر التاريخ، وليس كما يدعي اليهود بأن عرب فلسطين كانوا غزاة لها أثناء الفتح الإسلامي، وهو قول خاطئ؛ لأن الوجود العربي في فلسطين (بلاد كنعان) أسبق من الفتح الإسلامي، فالعرب قوم سابقون على الإسلام بأربعة وأربعين قرنًا، ولكن الفتح الإسلامي صبغ البلاد بطابع إسلامي لغة وثقافة وتاريخًا ومصيرًا، وسادت في البلاد مظاهر الحضارة العربية الإسلامية التي استمرت حتى منتصف القرن العشرين، عندما قام الكيان الصهيوني في فلسطين عام ١٩٤٨م، وبعد أن شرد قسمًا كبيرًا من العرب[١].

وبعد كل هذا العرض هناك سؤال يطرح نفسه، وهو من يملك الحق في فلسطين؟ وللإجابة على هذا السؤال نقول: إن الحق التاريخي للعرب في فلسطين والقدس يستند إلى الأسباب الآتية:

١- أسبقية الوجود العربي في فلسطين والقدس بدءًا بالكنعانيين واليبوسيين العرب سنة ٣٥٠٠ ق.م مع

(١) د/سالم الكسواني، المركز القانوني لمدينة القدس، عمان ١٩٧٨، ص ٨٦.

استمرارية الوجود العربي في هذه البلاد على مدى ٥٠ قرنًا، ولم ينقطع هذا الوجود حتى اليوم.

٢- عدم وجود حضارة يهودية في فلسطين في ظل دولة داود وسليمان، حيث اقتبست هذه الدول الحضارة الكنعانية والحضارات العربية المجاورة، كما أنهم لم يتركوا أي آثار حضارية، وكانوا في الواقع تابعين حضاريًا لإحدى الدول العظمى المجاورة(١).

٣- ليس لليهود أي حق في فلسطين، حيث إن كيانهم السياسي إنهار باحتلال فلسطين من قبل الرومان، وما ترتب على ذلك من تفتيت المجتمع اليهودي في فلسطين، وانتشار اليهود في منطقة حوض البحر المتوسط، كما أن المدة التي كان لهم خلالها مثل هذا الكيان ليست طويلة بالمعنى المتعارف عليه في العرف الدولي، يضاف إلى ذلك عدم الاستقرار الذي لازم فترة وجود اليهود في فلسطين، ومقاومة السكان الأصليين لهم بمختلف الوسائل التي لم تمكن اليهود من ممارسة السيادة على جزء من إقليم فلسطين. ومن المعروف في القانون الدولي أنه إذا وضعت دولة يدها على إقليم دولة

(١) عارف باشا العارف، تاريخ القدس، القاهرة ١٩٩٤، ص ١٤-٢٠.

أخرى واستمر ذلك لفترة من الزمن سقط عن الدولة التي كان لها الإقليم الحق في الإقليم[١].

٤- يهود اليوم ليسوا امتدادًا ليهود الأمس العبرانيين والإسرائيليين من نسل يعقوب وغيرهم، فاليهود عبارة عن طائفة دينية اجتماعية انضم إليها أجناس مختلفة من البشر في عصور مختلفة بحيث يصعب وصفهم بالقومية، فمنهم الفلاشا الأثيوبية السوداء والخزر التركي والأوروبيون والهنود واليهود السود وغيرهم[٢].

٥- فلسطين أرض الرسالات السماوية التوحيدية، وعليها ولد الشعب العربي الفلسطيني ونشأ ونما وتطور وأبدع والتصق بالأرض وحافظ على هويته بصموده في الدفاع عنها، فهناك ارتباط بين الشعب والأرض والتاريخ والثقافة[٣].

٦- يزعم اليهود أن بيت المقدس بالنسبة لهم بمثابة الرأس من الجسد، ونحن نسأل: أين بيت المقدس التي يتحدثون عنها؟ إنها أورشليم التاريخية التي هدمها الرومان مرتين وأزالوا اسمها من الوجود، وهي التي تنبأ السيد المسيح بخرابها

(١) الهيئة العربية العليا، المقدسات الإسلامية في القدس، القاهرة ١٩٥٠، ص ٣٧.
(٢) عارف العارف، تاريخ القدس، ص ١٤-١٩.
(٣) المرجع نفسه، ص ٤٣-٥٠.

حين قال لها: يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين، هو ذا بيتكم يترك لكم خرابًا» وحين قال لأحد تلاميذه: «انتظر هذه الأبنية العظيمة لا يترك له حجر على حجر لا ينقضي» بل إن نبيهم سليمان تنبأ لهم بهذا المصير حين قال: «فإني أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التي أعطيتهم إياها والبيت الذي قد شقه لاسمي أنفيه من أمامي»[١].

٧- عندما فتح المسلمون المدينة استولوا عليها من الرومان، وليس من اليهود، وحافظوا على كنائسها ومعابدها، وسمحوا لليهود بإقامة معابدهم، ومعاهدهم وفق الشروط التي وضعها الإسلام لأهل الذمة، ثم إن المسلمين في أثناء حكمهم في فلسطين اتخذوا بيت المقدس عاصمة لهم وتملكوا أرضها بالطرق الشرعية، وأوقفوا أكثرها على الخير والبر والعبادة، ولم تهدم المدينة، ولم تحرق طوال حكمهم، ثم إنهم بنوا المساجد والمدارس والزوايا والتكايا والبيوت بأموالهم، وظلوا فيها مرابطين صابرين، واختلطت دماؤهم وعظامهم بتربتها، فبأي حق بعد هذا يدعي اليهود

(١) الهيئة العربية العليا، المقدسات الإسلامية في فلسطين، ص ٣٧.

أنها مدينتهم المقدسة وعاصمتهم الأبدية؟ إذا كان بحق التاريخ، فالتاريخ يحكم بأن مدينتهم اندثرت كلية منذ أكثر من عشرين قرنًا، وإذا كان بحق البناء فالتاريخ يحكم أن المسلمين هم الذين بنوا وعمروا، وإذا كان بحكم الملكية فالتاريخ يحكم أن المسلمين هم الممتلكون لها مدة اثني عشر قرنًا ونيف[1]. ومن هنا استقطبت القدس اهتمام المسلمين في أنحاء العالم كافة.

الهجرة اليهودية والاستيطان:

١- مرحلة الاستيطان اليهودي قبل عام ١٨٨٢:

ترجع الدعوات الأولى للاستيطان اليهودي في فلسطين، وكذلك مشاريع الاستيطان المرافقة لها إلى بداية التفكير الاستعماري بالمنطقة العربية، ونتيجة لذلك فقد تبنت مجموعة من الزعماء الأوروبيين الدعوة لتوطين اليهود في فلسطين لإقامة كيان يهودي في المنطقة يعمل لحسابها، وقد تزامنت هذه الدعوة مع ظهور بعض القيادات البرجوازية والفكرية اليهودية التي تدعو لتوطين اليهود في فلسطين، وقد عملت هذه المجموعات معًا لتحقيق الهدف الاستيطاني في فلسطين، واقترحت لتحقيق ذلك

(١) المرجع نفسه.

مجموعة من المشروعات، وأنشأت في الوقت نفسه عددًا كبيرًا من المؤسسات لتقوم بتنفيذ هذه المشروعات.

ومن أهم هذه الدعوات دعوة نابليون سنة ١٧٩٩ لتوطين اليهود في فلسطين، وكذلك دعوة يهودا الكالاي سنة ١٨٣٤ والحاخام زفي كاليشر ١٨٣٦ واللورد شاقتبسري ١٨٤٠م وموسى هيس ١٨٦٢ وليوبنسكر ١٨٨١ ومساهمات روتشيلد وموسى مونتفيوري[١].

ويمكن القول بأن فكرة الاستيطان خلال هذه المرحلة قد ارتبطت بداية بمجموعة من الزعماء الاستعماريين الذين رأو في الاستيطان خدمة لأهدافهم التوسعية والاستعمارية خاصة في فرنسا وبريطانيا اللتين كانتا تتطلعان للسيطرة على الوطن العربي في تلك الفترة.

كما امتزجت فكرة الاستيطان أيضًا بمجموعة الأفكار التي طرحتها طبقة القيادات البرجوازية اليهودية التي وجدت في

(١) انظر أهم هذه الدعوات والمشاريع في هذا المجال:

أ - أمين عبدالله محمود، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، الكويت ١٩٨٤م.

ب- Arthur Hertzberg. The Zionist Idea: A Histoical Analysis and Reader.NewYork 1966.

الاستيطان تحقيقًا لمصالحها الاستثمارية والاقتصادية في منطقة الشرق العربي، وأبدت استعدادها للمساهمة في تمويل عمليات استيطان فقراء اليهود في فلسطين، وتبلورت فكرة الاستيطان فيما بعد حين تبنت نخبة من الحاخامات ورجال الفكر والدين اليهودي هذه الفكرة بناء على أسس دينية وثقافية لتشكيل قوة جذب فعالة لليهود في مختلف الأقطار، ومن خلال تمازج وتفاعل تطلعات وآراء هذه المجموعات معًا - رغم اختلاف أهدافها - ظهرت فكرة الاستيطان إلى حيز الوجود لتشكل الأساس لعملية الاستطيان في فلسطين التي عبرت عنها مشاريع الاستيطان المختلفة.

ويلاحظ بأن مشاريع الاستيطان اليهودي خلال هذه المرحلة قد اتسمت بالعشوائية وعدم التنظيم، كما افتقرت للدعم المالي والبشري اللازم لعمليات الاستيطان، ومن هنا فإن عدد المستوطنين اليهود خلال هذه الفترة لم يتعد ١٥٠٠٠ نسمة، كما أن عدد المستوطنات والمغتصبات لم يزد على خمسة مستوطنات أهمها مستوطنة بتاح تكفا (وتعني الأمل). وقد تركز الاستيطان اليهودي خلال هذه الفترة في السهل الساحلي كنواة، بالإضافة إلى المدن المقدسة مثل: القدس وطبريا وصفد

والخليل. وبالرغم من ذلك فإن هذه المرحلة لها أهميتها في توطيد فكرة الاستيطان اليهودي في فلسطين[١].

٢- مرحلة الاستطيان المهاجر:

تبدأ هذه المرحلة بوصول أولى الهجرات اليهودية المنظمة إلى فلسطين سنة ١٨٨٢م، وقد اتصفت عمليات الاستيطان الأولى خلال هذه المرحلة بافتقارها إلى التخطيط المتكامل، كما كان معظمها يعبر عن حلول مؤقتة للمسألة اليهودية التي بدأت تظهر في أوربا كمشكلة اجتماعية ودينية أدت إلى اضطهاد اليهود في أوربا ولكن في مرحلة لاحقة ونتيجة الجهود التي بذلها تيودور هرتزل في المؤتمر الصهيوني الأول سنة ١٨٩٧م، فقد تم الاتجاه لتحويل المسألة اليهودية إلى قضية قومية سياسية، وتأسيسًا على ذلك فقد حدد المؤتمر الصهيوني الأول الغاية التي ينشدها اليهود بأنها (خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون العام)[٢].

وكان على رأس الوسائل لتحقيق هذا الهدف عملية الهجرة والاستيطان اليهودي في فلسطين.

---

(١) نظام بركات، الاستيطان الاسرائيلي في فلسطين، الرياض ١٩٨٥، ص ٣٥-٣٧.

(2) Merwitz, Jacob, Diplomacy in the Near and Middle East, New York (956, p.209

الهجرة اليهودية والاستيطان الصهيوني:

تعد الهجرة اليهودية إلى فلسطين إحدى المتغيرات الأساسية التي لعبت دورًا أساسيًا في عمليات الاستيطان الصهيوني في فلسطين، فقد ساهمت هذه الهجرة في توفير العنصر البشري اللازم لعملية الاستيطان، كما شكلت العناصر البشرية التي جاءت ضمن موجات الهجرة بخلفياتها الحضارية أسس ومعالم المجتمع الإسرائيلي فيما بعد، وعملت على تحديد أنماط الحياة داخل هذا المجتمع، ورسمت معالم السلوك الاجتماعي بداخله والقيم السائدة فيه، كما ساهمت عملية استيطان هذه الجماعات داخل فلسطين في تحديد الحدود الديموغرافية للكيان الاستيطاني في الفترات اللاحقة، واعتبرت شرطًا أساسيًا للاحتفاظ بالأرض والمحافظة على طابعها اليهودي.

وسنحاول فيما يلي متابعة أهم موجات الهجرة اليهودية الجماعية المنظمة إلى فلسطين[1]، وعمليات الاستيطان المصاحبة لها على أساس الإيمان بأن هناك علاقة جدلية ما

(١) محمد عبدالرؤوف سليم، تاريخ الحركة الصهيونية الحديث ١٨٩٧-١٩١٨ القاهرة ١٩٧٤، ص ٢٧-٢٨ وانظر كذلك وليم فهمي، الهجرة اليهودية إلى فلسطين، القاهرة ١٩٧٤.

بين عملية الهجرة والاستيطان، حيث يلاحظ بأنه بالقدر الذي تتوفر فيه أعداد كبيرة من المهاجرين يمكن توسيع رقعة الاستيطان، والعكس صحيح، أي أنه كلما وجدت المستوطنات والأرض المسيطر عليها زادت إمكانيات الهجرة أمام اليهود من الدياسبورا (الشتات).

موجات الهجرة والاستيطان المرافق لها ١٨٨٢-١٩٤٨

١- موجة الهجرة الأولى ١٨٨٢-١٩٣٠:

بلغ عدد المهاجرين اليهود ٢٥ ألف يهودي، منهم ٥٠٠٠ من العمال الزراعيين، وغالبية هؤلاء المهاجرين من روسيا ومن فرنسا بعد أحداث عام ١٨٨١وهم من أبناء الطبقات الدنيا والمثقفة، ويمثلون التمرد على القيم اليهودية السابقة ومحاولة بعث الروح القومية اليهودية. ولم تعتمد هذه الموجة سياسة العمل العبري، وقبلت تشغيل العرب في الأعمال الزراعية.

وقد أقام هؤلاء المهاجرين ١٧ مستوطنة مساحتها ٢٧٥ ألف دونم، وكانت أنماط المستوطنات هي الكيبوتر والموشاف والمستقل (أي في المدن).

وقد سكن أفراد هذه المجموعة المدن، وبعضهم أقام في المستوطنات الزراعية، لكنهم فشلوا في تأسيس مستوطنات

مستقرة نظرًا لنقص الخبرة الزراعية لديهم. وكانت المستوطنات تقوم على أساس الملكية الفردية والعمل الخيري. واعتمدت في تمويلها على المساعدات التي قدمها البارون روتشيلد. وتركزت المستوطنات في منطقة الجليل والسهل الساحلي. ومن أهم المستوطنات ريشون لوزيون ونيس زيونا وزخرون يعقوب وزمارين وجديره. وقد قامت مؤسسات الاستيطان بتأسيس وبناء هذه المستوطنات ومنها: جمعية الاستيطان اليهودي برئاسة موريس هيرش وجمعية أحباء صهيون، وصندوق الائتمان اليهودي للاستعمار[1].

٢- موجة الهجرة الثانية ١٩٠٤-١٩١٢م:

بلغ عدد المهاجرين اليهود في هذه الفترة حوالي ٣٥ ألف يهودي يمثلون ٢٪ من الهجرة اليهودية العالمية، وبلغ عدد العمال الزراعيين فيها ٦٦٣٠. وقد قدم هؤلاء المهاجرين اليهود من شرق أوربا وخاصة من روسيا بعد أحداث عام ١٩٠٥، وكان معظمهم يعيش في الجيتو، قبل الهجرة يغلب عليهم العنصر الشبابي ذو المستوى الثقافي المنخفض. ومعظم أفراد هذه الهجرة من المؤمنين والمرتبطين بالإيديولوجية الصهيونية. وتنتمي معظم

(١) المرجع نفسه.

القيادات الصهيونية الأولى لهذه الفئة، وهم واضعوا أسس القومية اليهودية واستعمال اللغة العبرية. واعتمد أفراد هذه الموجة سياسة العمل العبري والإيمان بتقديس العمل اليهودي. وقد بلغ عدد المستوطنات ٢٥ مستوطنة ومساحتها ٢٠ ألف دونم وهي تتكون من الكيبوتز ٢٠٪ وموشان ٣٪ ومستقل ٩٥٪.

وقد عمل أفراد هذه الموجة في العمل الزراعي وأقاموا في المستوطنات اليهودية، وأنشأ المستوطنون أولى المؤسسات الصهيونية الاستيطانية في فلسطين، وأوجدوا أنواعًا مميزة للمستوطنات الجماعية التي تتبع الأسلوب الاشتراكي مثل: الكيبوتز والموشات وأهم المستوطنات مدينة: تل أبيب، وداجانيا. ومن أهم مؤسسات الاستيطان المنظمة الصهيونية والهاشومير حراس المستوطنات والصندوق القومي اليهودي (الكارن كاميت) والذي تفرع عنه شركة شراء وتطوير الأراضي[١].

٣- موجة الهجرة الثالثة ١٩١٦-١٩٢٣م:

بلغ عدد المهاجرين اليهود في هذه الفترة أربعين ألفًا يمثلون ١٥٪ من الهجرة اليهودية العالمية، وكان منهم ٢٥٦٠ من العمال الزراعيين الجدد، ويمثلون ١٦٪ من مجموع السكان

(١) محمد عبدالرؤوف سليم، الحركة الصهيونية، ص ٣٠-٣٥.

اليهود. ويتصف هؤلاء المهاجرون بأنهم جاؤوا من شرق أوربا وروسيا وبولندا ودول بحر البلطيق. وهم متأثرون بالتغيرات الاجتماعية والدستورية والعمالية، وتمتاز بالتعصب والتشدد في المواقف، والاستعداد للعمل، ومن المؤمنين بقيام الدولة اليهودية، ويمثلون الأفراد من العناصر المدربة التي وصلت بعد وعد بلفور.

وقد أقام هؤلاء المهاجرون ٢٤ مستوطنة مساحتها ١٧٣,٤٠٠ دونم، وتتكون المستوطنات من أنماط مختلفة وهي الكيبوتز (٨٪) والموشاف (٨٠٪) ومستقل (١٢٪) وكان لهذه الموجة دور هام على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي، وهي واضعة أسس المؤسسات العمالية. واستفادت هذه الهجرة من الأراضي الأميرية التي منحتها حكومة الانتداب للمنظمات الصهيونية. وأدخلت هذه الموجة نمطًا جديدًا من الاستيطان وهو الموشاف عوقديم[1].

وقد عملت هذه الموجة على بناء المرافق العامة من طرق وسكك حديدية وغيرها.

---

(١) المرجع نفسه.

ومن أهم المستوطنات التي أقامها هؤلاء المستوطنون، كفار بلعادي، وعين جارود، ونهلال وجزرائيل، وكفار حوطيم. وقد أشرفت على هذه المستوطنات المؤسسات الاستيطانية التالية:

١- الوكالة اليهودية. ٢- الهستدروت. ٣- الماغاناه.

٤- الكارن هايسود[١].

٤- موجة الهجرة الرابعة ١٩٢٤-١٩٣١:

بلغ عدد المهاجرين اليهود ٨٢ ألف يهودي ويمثلون ٦٪ من الهجرة اليهودية العالمية. ويمثل العمال الزراعيون نسبة عالية من المهاجرين اليهود، إذ يبلغ عددهم ٢٣١٠٠ يهودي، ويشكلون ٢١٪ من مجموع السكان اليهود. وقد جاء معظم هؤلاء المهاجرين من بولندا ورومانيا والشرق الأوسط، نظرًا لضيق الحياة الاقتصادية، وينتمون إلى الطبقة المتوسطة والبرجوازية الصغيرة. وقد عاش أفراد هذه الموجة منعزلين عن المجتمع القائم. وقد أقام اليهود المهاجرون القادمون الكتلة الشرقية في ٢٩ مستوطنة مساحتها مليون دونم، وهي من أنماط مختلفة هي الكيبوتر (١٠٪) والموشاف (١٥٪) والمستقل (٧٥٪).

---

(١) وليم فهمي، الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ص ٦٥-٧٥.

وقد أنشأ أفراد هذه الموجة المستوطنات المدنية وأقاموا الصناعات نتيجة توفر مؤسسات التمويل للاستيطان، ابتعد أفراد هذه الموج عن العمل في المستوطنات الزراعية وعززوا الأحياء السكنية في المدن الرئيسة، تل أبيب ويافا والقدس. وقد أشرفت مؤسسات الاستيطان على ذلك وأهمها منظمة البيكا والجامعة العبرية[١].

٥- موجة الهجرة الخامسة ١٩٣٢-١٩٣٩م:

بلغ عدد المهاجرين اليهود في هذه المرحلة ٢٦٥ ألف يهودي يمثلون ٤٤٪ من الهجرة اليهودية العالمية، في حين بلغ عدد العمال الزراعيين ٧٤٠١٠ الجدد يمثلون ٢٣٪ من مجموع السكان اليهود، وقد وفد هؤلاء المهاجرون من وسط أوربا وشرقها خاصة بولندا من الطبقة البرجوازية التي هربت من الاضطهاد النازي، يمتازون بارتفاع مستوى التعليم وكثرة العناصر المهنية والكفاءات الفنية بينهم، وقد ساهمت هذه الموجة في وضع أسس الحياة الاجتماعية والتعليمية للمجتمع الصهيوني، وسكن كثير من أفرادها المدن.

---

(١) المرجع نفسه.

وقد بلغ عدد المستوطنات ٢٧ مستوطنة مساحتها ٤٧٤,٩٠٠ دونم وأنماطها تشمل كيبوتز (٢١٪) والموشاف (٢٢٪) والمستقل (٦٧٪).

ومن خصائص الاستيطان المرافق للهجرة أنها اتسمت بسيطرة الأبعاد السياسية والاستراتيجية على الاستيطان في هذه المرحلة نتيجة ظهور الدعوات لتقسيم فلسطين واشتداد المقاومة العربية. وأنشئت المستوطنات في المناطق الاستراتيجية على حدود فلسطين، كما توقف الاستيطان في المناطق العربية الخالصة مثل: القدس والخليل والنقب، وظهرت المستوطنات التي عرفت باسم السور والبرج، ومن أهم المستوطنات حفيتاه. وتشرف الأحزل الصهيونية والمنظمات العسكرية على هذه المستوطنات من قبل مؤسسات الاستيطان.

٦- موجة الهجرة السادسة أثناء الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٨:

بلغ عدد المهاجرين اليهود ١٣٥ ألف يهودي منهم ٤٨ ألف يهودي من العمال الزراعيين الذي يمثلون ٢٧٪ من مجموع السكان اليهود. وقد وفد هؤلاء المهاجرون من وسط أوربا والبلقان وبولندا والشرق الأوسط. ومعظمهم من اللاجئين من الاضطهاد النازي، ويلاحظ بأن هذه الفترة لم تشهد عملية

هجرة واسعة وذلك نتيجة القيود البريطانية وصدور الكتاب الأبيض. وبالمقابل تزايدت أعداد الهجرة السرية. وقد استفاد المهاجرون من رؤوس الأموال التي قدمتها المؤسسات الصهيونية، وسيطروا من خلالها على الصناعة داخل فلسطين. وقد بلغ عدد المستوطنات ٢٩ مستوطنة مساحتها ٢ مليون دونم. وأنماطها تشمل الكيبوتز (٢٤٪) والموشاف (٢١٪) والمستقل (٥٥٪).

وكان التركيز خلال هذه الفترة على الاستيطان ومحاولة استيعاب وتوطين المهاجرين السابقين. وقد تركز الاستيطان في منطقة الحولة والهضاب الشرقية المشرفة على مرج بني عامر، والجليل الأعلى، وظهر الاتجاه لبناء المستوطنات في مناطق منعزلة مثل: النقب وساحل البحر الميت والاستيطان في كل فلسطين لإثبات الوجود الصهيوني، ولكن هذه المستوطنات المنعزلة لم تصمد وسقطت بيد العرب أثناء العمليات العسكرية الأولى. وتشرف على هذه المستوطنات صناديق حركة الشباب اليهودي الألمان[1].

ومن خلال عرض موجات الهجرة السابقة يمكن الوصول إلى النتائج التالية:

---

(١) د/نظام بركات، دراسات فلسطينية، الرياض ١٩٨٨، ص ٢١٨.

١- إن عملية الهجرة إلى فلسطين قد ارتبطت بعمليات الاضطهاد التي تعرض لها اليهود في المجتمعات الأوربية، وقد تزامنت معظم هذه الهجرات التي تعرض لها اليهود في شرق أوربا مع أحداث مثل: أحداث روسيا عام ١٨٨١ وعام ١٨٨٥، وقضية دريفوس في فرنسا، والأزمة الاقتصادية في كل من بولندا ورومانيا، وكذلك الاضطهادات النازية لهم في ألمانيا.

٢- إن معظم هذه الهجرات قد جاءت من أوربا وهم الذين شكلوا الأساس الاجتماعي لفئة الأشكنازيم في المجتمع الصهيوني فيما بعد مع ما تمثله هذه الفئة من انتماء للحضارة والقيم الغربية، وقد استطاعوا فرض قيمهم وحضارتهم على مجتمع اليشوف في فلسطين.

٣- إن عملية الهجرة والاستيطان في فلسطين قد أخذت طابعًا سياسيًا مع بداية ظهور الحركة الصهيونية، وبدء التفكير بإنشاء الدولة اليهودية، وبذلك بدأ التفكير بالسيطرة على مناطق معينة لتشكل النواة لعملية الاستيطان، ولتكون معدة لاستقبال المهاجرين لتأمين العنصر الجغرافي والبشري لهذه الدولة.

٤- أما من حيث الأراضي اللازمة للاستيطان فقد تم تأمين بعضها عن طريق الشراء من الإقطاعيين العرب غير الفلسطينيين خاصة الذين امتلكوا كثيرًا من الأراضي الشاسعة في شمال فلسطين استنادًا لنظام الجباية العثماني، هذا بالإضافة إلى كثير من الأراضي الأميرية التي سلمتها لهم الحكومة البريطانية، إما مباشرة أو عن طريق عطائهم امتياز استغلالها.

٥- من خلال مقارنة نسبة اليهود المهاجرين إلى فلسطين مجموعة الهجرة اليهودية العالمية نجدها نسبة متدنية، وهذا يعكس عدم رغبة اليهود بالهجرة إلى فلسطين وعدم إيمانهم بأهداف ومخططات الحركة الصهيونية، وهي التي تعهدت الحكومة البريطانية بتنفيذها في المنطقة.

٦- إن عمليات الاستيطان قد تأثرت كثيرًا بطبيعة المهاجرين، ففي بداية الهجرة كان الاتجاه للاستيطان المنعزل في فلسطين نتيجة شعور المهاجرين بالاغتراب عن المجتمع الجديد الوافدين إليه، وفي المرحلة التي وصلت فيها موجات الهجرة من العمال ذوي الأفكار الاشتراكية ظهرت أنماط معينة للاستيطان مثل: الكيبوتز والموشاف، أما

مهاجرو الطبقة البرجوازية والمهاجرون من وسط أوربا من المهنيين فقد فضلوا الاستيطان في المدن الكبيرة واتجهوا نحو خلق الصناعة اليهودية[١].

٧- إن عملية الاستيطان قد تأثرت بظروف المجتمع الغربي، فقد بدأ الاستيطان بسهولة في بادئ الأمر نتيجة الحصول على أراض واسعة من أصحابها العرب من غير الفلسطينين، ولكن المصاعب بدأت في الظهور فيما بعد، وبالرغم من ازدياد جهود حكومة الانتداب البريطاني ١٩٢٠، ١٩٢٩، ١٩٣٦، وفرضت هذه الأحداث أنماطًا معينة من الاستيطان الاستراتيجي والمحصن والذي عرف بمستوطنات البرج والسدر.

وهكذا نلاحظ أن عمليات الهجرة والاستيطان قد سارت جنبًا إلى جنب بدعم بعضها البعض، فكلما زادت الهجرة إلى فلسطين زادت الدوافع والإمكانيات لبناء مزيد من المستوطنات، وكلما توفرت الأراضي والمستوطنات المقامة زادت الإمكانية لاستيعاب مزيد من المهاجرين[٢].

---

(١) د/نظام بركات، دراسات فلسطينية، ص ٢١٩-٢٢٠.

(٢) د/نظام بركات، المرجع السابق، ص ٢٢٠.

نتائج عمليات الهجرة والاستيطان:

وقد أسفرت الجهود الصهيونية خلال هذه الفترة عن خلق نواة بشرية وجغرافية للكيان الصهيوني الذي نشأ عقب ذلك، إذ استطاعت الجهود الصهيونية الاستعمارية خلال هذه الفترة مضاعفة عدد سكان فلسطين من اليهود حوالي ٢٥ ضعفًا. فبينما لم يكن عدد اليهود في فلسطين يتجاوز ٢٤ ألف نسمة سنة ١٨٨٢م يملكون حوالي ٢٥ ألف دونم أي أقل من ١٪ من مساحة فلسطين. فقد ارتفع هذا العدد إلى ٨٧,٧٩٠ سنة ١٩٢١ أي حوالي ٨٪ من سكان فلسطين ويملكون ٦٥ ألف دونم تمثل حوالي ٢,٥٪ من الأراضي الفلسطينية، وقد ارتفع هذا العدد وبمساعدة الجهود البريطانية حين انتهت فترة الانتداب سنة ١٩٤٨ إلى ٦٥٠٠٠٠ نسمة يمثلون ثلث سكان فلسطين ويملكون حوالي ٢,٠٧٥,٠٠٠ دونم أي نسبة ٦٪ من مساحة فلسطين، كما أسفرت الجهود الصهيونية خلال هذه الفترة عن بناء ٣١١ مستوطنة موزعة في أنحاء مختلفة من فلسطين[١].

---

(١) انظر قسم الدراسات في فلسطين المحتلة، استراتيجية الاقتصاد الديموغرافي العسكري لمجتمع الحرب الإسرائيلي، منشورات فلسطين المحتلة، بيروت ١٩٨٢، ص ٤٢-٤٣.

وفي الختام يلاحظ المدقق لطبيعة الاستيطان خلال هذه الفترة بأن سياسة الاستيطان قد سارت بتخطيط دقيق وبخطوات مرسومة لتحقيق الهدف الصهيوني بخلاف المرحلة الأولى التي اتصفت بالعشوائية، كما أن عمليات الاستيطيان في الفترة الثانية قد خضعت للاعتبارات السياسية والاستراتيجية منذ بدايتها بعكس المرحلة الأولى التي كان يغلب عليها الطابع الديني والخيري، فمنذ بداية عمليات الاستيطان الاستراتيجية خلال المرحلة الثانية توجهت الجهود لإقامة عدد من المستوطنات في المناطق الاستراتيجية على شكل مجتمعات مغلقة تشبه الغيتو القديم المنعزل عن البيئة المحيطة به. وقد اعتمدت هذه المستوطنات على سياسة العمل العبري لتأسيس نفسها، وشكلت هذه المستوطنات نواة للوجود الصهيوني في فلسطين، وقد ارتبطت هذه السياسة بموجة الهجرة الثانية التي بدأت تزرع الشكوك والاستياء لدى الفلاحين الفلسطينيين نتيجة طردهم من أراضيهم[١]، ومن ثم اتجهت السياسة

(١) لمزيد من التفاصيل عن خطط الاستراتيجية الاستيطانية الصهيونية في فلسطين انظر: قسم الدراسات في فلسطين المحتلة. استراتيجية الاقتصاد الديمغرافي العسكري لمجتمع الحرب الإسرائيلي، منشورات فلسطين المحتلة، بيروت، ص ٤٢-٤٣.

الاستيطانية لبناء مزيد من المستوطنات الأخرى المجاورة لها لتطويق المناطق العربية المحيطة.

إستراتيجية الاستيطان الصهيوني:

لقد رسمت الدولة الصهيونية الخطوط العامة لسياسة الاستيطان الصهيوني في فلسطين والتي تتمحور حول:

١- التأكيد على حرية الاستيطان واستمراريته بغض النظر عن الخلافات بشأن مواقع المستوطنات وأولوياتها، وكذلك الفصل بين الاستيطان وإمكانية الوصول إلى تسويات إقليمية مع الدول العربية، والمحافظة على استمرارية الاستيطان بغض النظر عن التغيرات السياسية الخارجية أو الداخلية في إسرائيل.

٢- التركيز على إقامة المستوطنات في المراكز الحيوية سواء الأراضي ذات المواقع الإستراتيجية خاصة المرتفعات أم الأراضي الزراعية في محاولة لإحكام السيطرة اليهودية على المناطق المحتلة.

٣- العمل على توفير المقومات المادية للاستيطان مثل: مصادرة الأراضي العربية بشتى الوسائل ومحاولة الاستيلاء على مصادر المياه بحجة أن مياه إسرائيل الجوفية مرتبطة بمياه

الضفة الغربية. وقد استولت إسرائيل على حوالي ٣٠٪ من مخزون المياه في الضفة الغربية[١].

٤- المحافظة على طابع إسرائيل اليهودي، ومحاولة تفريغ المناطق العربية المحتلة من السكان بشتى الوسائل الترغيبية والتهديدية، والعمل على خنق الوجود الغربي والضغط عليه لطرده من أرضه، وفي الوقت نفسه العمل على رفع عدد السكان اليهود في المستوطنات، وتوزيعهم على مختلف المناطق وتوفير فرص العمل لهم.

٥- العمل على ربط الضفة الغربية بالاقتصاد الإسرائيلي من خلال ربط الضفة الغربية بشبكة الخدمات الإسرائيلية في مجال الطرق والكهرباء والمياه من أجل ضمان السيطرة الإسرائيلية على المنطقة في حالة أي تسوية سياسية مقبلة، وكذلك من أجل تسهيل عمليات الاستيطان الإسرائيلي في هذه المناطق. والعمل في الوقت نفسه على استيعاب القوى العاملة العربية في المشاريع الإسرائيلية، وإغراق الضفة الغربية بالمنتوجات الإسرائيلية[٢].

---

(1) The state of Israel, Ministry of Defence, Coordinator of Government operation in Judeak samaria, Jerusalem

(٢) عزت جرادات، المستوطنات الصهيونية في الضفة الغربية، عمان ١٩٨٢، ص ١٨.

٦- تنفيذ مختلف المشاريع الاستيطانية والسياسات الحزبية في مجال الاستيطان في الوقت نفسه في تناغم وانسجام كاملين، مما يجعل كل مشروع من هذه المشاريع يكمل الآخر ولا يتعارض معه مما يضمن استمرارية عمليات الاستيطان في كل المراحل، ومهما حدثت من تغييرات في طبيعة الحكومات الإسرائيلية.

وهكذا فقد أسفرت عمليات الاستيطان الصهيوني في الفترة من ١٩٤٨ إلى ٢٠٠٢ عن إنشاء أكثر من ٣٠٠ مستوطنة يقيم فيها أكثر ١٢٠ ألف مستوطن، إضافة إلى ١٧٠ ألف مستوطن يعيشون في الأحياء السكنية في القدس العربية وحولها.

وقد تميزت الفترة الأولى من عمليات الاستيطان في عهد حزب العمل على التركيز على الاستيطان في منطقة الأغوار لتأمين خط دفاعي على نهر الأردن، بالإضافة إلى إقامة أحياء سكنية في مدينة القدس، وعندما تولى حزب الليكود الحكم عام ١٩٧٧ فتح المجال واسعًا للاستيطان داخل المناطق العربية في محاولة لإثبات الوجود اليهودي، ولكي يمنع أية عملية انسحاب منها مستقبلاً[١].

(١) د/نظام بركات، الاستيطان الإسرائيلي في إسرائيل، بيروت ١٩٨٢، ص ٣٧-٤٥.

ولا ريب أن الدولة العبرية تستخدم هذه المستوطنات لتحقيق مجموعة كبيرة من الأهداف العسكرية لدعم نظرية الأمن القومي الإسرائيلي ونظرية الحدود الآمنة، وكذلك لتحقيق أهداف اقتصادية بهدف السطرة على الموارد الاقتصادية والأراضي الزراعية والمياه في المناطق المحتلة، علاوة على أهداف سياسية لاستخدام هذه المستوطنات كورقة مساومة مع الدول العربية في أثناء مفاوضات التسوية، وكذلك كوسيلة ضغط على التجمعات السكانية لإرهابها وإجبارها على الهجرة من المناطق المحتلة.

ومهما يكن من أمر فإن الاستيطان الصهيوني لم يحقق لليهود الأمن والأمان بسبب وجود العنصر العربي الموجود في فلسطين، والذي يملك الإرادة الصلبة والعزيمة القوية في مقاومة الوجود اليهودي في فلسطين.